

المدونات الخادمة للمعاجم بين دواعي الصناعة وتعدد الأنماط

-غراس الأساس لابن حجر العسقلاني نموذجاً-

Auxiliary Lexicographical Corpora between the Motives of Lexicographical Craft and the Multiplicity of Patterns Ghirās al-Asās by IbnḤajar al-‘Asqalānī as a Model

د. محمد الأمين تومي*

المدرسة العليا للأساتذة الكاتبة آسيا جبار بقسنطينة-الجزائر

toumi.mohammedelamin@ensc.dz

تاريخ الإرسال: 2026/02/21	تاريخ التقييم: 2026/05/22	تاريخ القبول: 2026/06/10
---------------------------	---------------------------	--------------------------

الملخص

نقدم في بحثنا هذا قضية من قضايا المعجم العربي وهي دراسة مضامين المدونات التي صُوِّفَتْ في خدمة المعاجم تصويبا واستدراكا، على أنَّها جزئية لم تعطِ القدر الكافي من العناية والمناقشة عند الباحثين المعاصرين، وغايتنا منها في هذه الدراسة هي بيان بعض من جهودها في خدمة النصوص المعجمية، بما تشتمل عليه من تعدد الأنماط ودواعي الوضع، وذلك بالوقوف على طَرَفٍ منها كالفوائد والشروح والحواشي، والمدونات النقدية والمختصرات، وبيان ما رأيناه ضرورة من مناهجها في الصناعة، ولم نكتفِ بمعالجة نظرية فقط، بل أرفقناها بمدونة للدراسة التطبيقية من جنس أحد هذه الأنماط التي تم بيانها، وهي معجم غِرَاسِ الأساس لابن حَجَرِ العَسْقَلَانِي، الذي اخْتَصَرَ من خلاله معجم أساس البلاغة للزمخشري، وسنعالج فيه ما قَدَّمَهُ ابن حجر من صناعة وخدمة معجمية للمعجم الأم. كلمات مفتاحية: صناعة معجمية؛ مدونات؛ أنماط؛ غِرَاس؛ ابن حجر.

Abstract

This study addresses an issue in Arabic lexicography: the study of corpora compiled in the service of dictionaries for correction and supplementation. These corpora represent a partial aspect of lexicographical work that has received limited attention in contemporary research. The aim is to shed light on their contributions to lexicographical texts, considering the multiplicity of patterns and motives behind their compilation. The study examines a set of forms: addenda, commentaries,

marginal notes, critical corpora, and abridgements, and outlines what we regard as essential elements of their methods in lexicographical craft.

The discussion is not confined to theory; it includes an applied case study from one of these forms, namely the dictionary Ghirās al-Asās by IbnḤajar al-ʿAsqalānī, in which he abridged Asās al-Balāgha by al-Zamakhsharī. The study analyzes the lexicographical craft and the services IbnḤajar provided, through this work, to the parent dictionary.

Keywords: lexicographical craft: corpora: patterns: Ghirās: IbnḤajar.

*المؤلف المراسل.

1. مقدمة

لم يخطئ أوغست فيشرحين حكم بأسبقية العرب وتفننهم في صناعة المعاجم، وتفوقهم فيها على باقي الأمم – عدا الصينيين - ، ويُصَدِّقُ حُكْمَهُ هَذَا ما تواتر متعدد الجهود وتظافرها في وضع المعاجم، إذ تُعَدُّ بِحَقْدَرَةِ التاج في الدرس اللغوي العربي، لما فيها من حفظ اللغة ومعانيها ومسائلها المتنوعة، كلغات القبائل وأشعارها ونثرها وأيامها ومنافراتها، من هنا كان الاعتناء بهذه المعاجم كبيراً، وهو اعتناء دفعته به الضرورة المعرفية من خلال وضع عشرات المدونات التي تخدم النصوص المعجمية بالشرح والإيضاح والنقد، فكان نتاج هذا مدونات موازية للمعاجم متعددة الأنماط ولكل نمط منها دوافعه المبررة لوضعه وصناعته.

ومن بين أنواع هذه المدونات ما يعرف بالمعاجم المختصرة التي هي في جوهرها قائمة على خدمة نص المعجم الأم من خلال تهذيبه وتخليصه مما يعيق غرضه التعليمي، انطلاقاً من هذه الأهمية فقد وقع اختيارنا في دراستنا هذه – كعينة تطبيقية- على مدونة غِرَاسِ الْأَسَاسِ لابن حَجَرِ الْعَسْقَلَانِي، وهو معجم اختصر فيه واضعه معجم أساس البلاغة للزمخشري، محاولين الإجابة من خلالها على التساؤلات التالية: كيف استطاعت هذه المدونات خدمة المعاجم صناعة ومتناً؟، وإلى أي حَدٍّ تمكن ابن حجر من استثمار القواعد الكلية للصناعة في وضع الغِرَاس؟، وما مدى استفادته من جهود المختصرات السابقة في معالجة مادة الأساس؟ وهل يمكننا اعتبار الغِرَاس معجماً تعليمياً إذا ما قورن بغيره من

المختصرات التعليمية؟، وتضعنا الإجابة عن هذه التساؤلات أمام ضرورة الاعتماد على المنهج الوصفي وذلك لملائمة آلياته التحليلية موضوع بحثنا سواء في شقها النظري أو التطبيقي.

2. المدونات الخادمة للمعاجم وأنواعها

تفنن وُضَّاعُ المعاجم في تقديم عشرات المعجمات التي ساهمت في حفظ مفردات اللغة وبيان معانيها، وتَبَعًا لهذا فقد تعددت المدارس المعجمية وفق طرق ترتيب المواد والمداخل والتي استهلها الخليل بن أحمد (175هـ) بطريقة الترتيب الصوتي إلى غاية الزمخشري (538هـ) وطريقة ترتيبه الألفبائية حسب أول الحروف في أساس البلاغة، وما بينهما من طرق ترتيب أخرى كترتيب التقفية للجوهري (400هـ) في صحاحه ومن تَلَا تَلَوُهُ، وابن دريد (321هـ) في الجهمرة، كل هذا التنوع في المدونات والمدارس مختص بالمعاجم المجنسة فقط، أما المعاجم التجانسية فضرب آخر من التفنن في الترتيب، فأشهر معاجمها مُخَصَّصُ أَبِي الحسَن ابن سيده الضرير (458هـ)، وغيره كثير، وصاحب هذا التراث المعجمي الضخم عناية كبيرة من اللغويين، فقد تَوَاطَوْا على خدمته وتيسيره ومراجعة مواضع الإخلال فيه، ووضع الشروح والقيود على كل ما غَمُضَ من موادهم ومداخلهم، وبالجمله فإن الجهود التي صُنِفَتْ كمدونات خادمة للنصوص الأصلية في المعاجم كانت متنوعة جدا وأكثر من أن يتم إحصاؤها لأنها تتطلب جهدا بيبليوغرافيا كبيرا، خاصة وأن جزءا غير يسير منها في حكم المفقود أو المخطوط الذي لم يتم نشره، ولكن بناء على قاعدة أنَّ ما فُقِدَ جُلُّهُ لا يترك كُلُّهُ نحاول بيان جزء من هذه المدونات كالتالي:

1.2 مدونات فوائت المعاجم

هدفها إكمال ما نَقَصَ من مواد معجمية نتيجة ما أغفلها أصحاب المعاجم الأصلية أو فاتهم، فهو عمل في جوهره استدراك، ولهذا اصطلاح على هذه المدونات بـ المستدركات أو التكملات، وقد كان لكتاب العين النصيب الأوفر من هذه المصنفات ككتاب فائت العين لأبي عمر المطرز (354هـ)، وكتاب استدراك الغلط الواقع في كتاب العين لأبي بكر الزبيدي الإشبيلي (379هـ)، وكذا صَنَعَ تلميذه أبو غالب ابن التَّيَّانِي المُرِّي (436هـ) في تنقيح العين أو المَوْعَبُ فَقَد جعله " مكتنزاً بالمادة اللغوية، المحررة المحققة، ضم فيه ما صح من متن ورد في العين

وطرح ما فيه من شواهد مختلفة، أو حروف مُصَحَّفة، دون إدخال بشيء من شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب، وهو نقد لمعجم مختصر العين لأبي بكر الزبيدي -وهو شيخه-¹، والمدونات المصنفة في الاستدراك على العين أكثر من أن نحيط بها، وقد رامت في مجملها الاستدراك على الخليل في أبواب المهمل والمستعمل وزيادة ما نُقِصَ من الأبواب، والشواهد، كما ركزت على الجوانب الصرفية كالأفعال والمصادر وأبنيتها، والجموع وقضايا التذكير والتأنيث، والعناية بقضايا الاشتقاق، ومراعاة السماع والقياس اللغوي ..الخ.

وصُفِّتْ الاستدراكات والتكمالات كذلك حول تهذيب الأزهري، وصحاح الجوهري، والقاموس وغيرها، إلا أنَّ أشهر تكملة عند القدماء ما كتبه الحسن بن محمد الصاغانى (650هـ) في معجمه التكملة والذيل والصلة في استدراكاته على ما فات الجوهري في صحاحه وقد جاءت ضخمة نوعاً ما، فقدّم فيها ما رآه تصحيحاً، أو تصويباً لأحد المستويات الصرفية والنحوية، أو ما كانت دلالاته غير مضبوطة في تعريفات الصحاح.

وحتى في الفترة المعاصرة وضع المستشرق الهولندي رينهاردت دوزي (1300هـ) موسوعته الموسومة بـ تكملة المعاجم العربية، والتي "كان من همّه أن يجمع فيها ما لم يرد في المعاجم العربية القديمة التي وقفت باللغة في حدود من الزمان والمكان معينة، فيثبت فيه الألفاظ الطارئة التي دعت إليها ضرورات التطور والحضارة، واستعملها مؤلفو العصور الوسيطة ومن جاء بعدهم من مؤرخين وقُصَّاص وجغرافيين ونباتيين وأطباء وفلكيين"²، وقد تميزت تكملة دوزي بعد اهتمامها الكبير بألفاظ الحضارة، على التخفيف من القواعد النحوية والصرفية بل يذكر ذلك وفق ما دعت إليه الضرورة المعجمية، وعلى نفس المنهج وضع محمد حسن جبل مدونته الموسومة بـ: الاستدراك على المعاجم العربية في ضوء مئتين من المستدركات الجديدة على لسان العرب وتاج العروس، صَدَّرَها بدراسة نظرية حول مسوغات حدوث الفوائد المعجمية عند المعجميين والتصنيف فيها، وأعقب ذلك بجملة يسيرة مما استدركه بـ نحو مئتين من الألفاظ والصيغ والعبارات والاستعمالات والمعاني³، وقد نقد في استدراكاته هذه نظرية الاحتجاج نقداً لاذعاً واعتبرها سبباً رئيساً في فوات المئات من المواد.

2.2 شرح المعاجم

فكرتها الرئيسة تدور حول مبدأ التيسير المعجمي، وذلك بشرح مواد أي معجم كاملة وتقديمها في شكل مدونات مستقلة، أو شرح أجزاء معينة منها كمقدمات المعاجم، أو الشواهد التي اعتمدها الواضع، أو القضايا اللغوية التي تكون من مشمولات التعريفات، ويتحكم عادة في اختيار المعاجم موضوع الشرح عدة عوامل منها شهرة وشيوع المعجم وتلقي أهل الفن له بالقبول بما توفر عليه من مادة وصناعة، أو ما قدمه من جديد بين ثناياه، كما أن إمامة واضعه في اللغة تجعل المعجم محل اهتمام عند أصحاب التخصص.

وقد كان الاهتمام كبيرا في مثل هذه المدونات بمعجم القاموس المحيط للفيروزآبادي (718هـ)، فشَرَحَ المرتضى الزبيدي (1205هـ) في معجمه تاج العروس من جواهر القاموس، وشرحه قبله شيخه ابن الطيب الفاسي (1170هـ)، كما شَرَحَتْ مقدمة القاموس منفردة عن المتن في عدة شروح وحواشي، لما فيها من لغة قوية ومفردات غريبة أودعها فيها الفيروزآبادي، وما وضعه فيها من رموز وقواعد لغوية في سياق نقده اللاذع للصحاح، ومن هذه الشروح أيضا شرح خطبة القاموس للحافظ المناوي الشافعي (1031هـ)، ومقدمة نصر الهوري (1291 هـ) التي وضعها على القاموس لفك رموزه ومصطلحاته، لكن مع كثرة هذه الشروح يبقى تاجُ الزبيدي هو العمدة لهم جميعا لأنه قدم لنا موسوعة لغوية تحوي أكثر من 120 ألف مادة معجمية، وفاقَت النص الأصلي بـ ثلاث مرات، لأن القاموس حوى ما يفوق 40 ألف مادة، واعتمد فيها الزبيدي على عدد كبير من المصادر اللغوية وغير اللغوية ناهزت الـ 120 مصدرا⁴.

وقد أخذ معجم الصحاح نصيبا لا بأس به من هذه الشروح أيضا، خاصة فيما تميز فيه الجوهري في تعريفاته وهو حشده للشواهد المتعددة وتفننه فيها، وترجيحه للعديد من القضايا اللغوية وفقهاها، حتى تصدَّى صلاح الدين الصفدي (764 هـ) لشرحها في مدونة: حَلْيُ النَّوَاهِدِ عَلَى مَا فِي الصِّحَاحِ مِنَ الشَّوَاهِدِ، كما وضع السيوطي (911 هـ) مدونته: فَلَقُّ الإِصْبَاحِ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الصِّحَاحِ، متبعا فيها الأحاديث التي يذكرها غالبا دون عزو أو درجة، وهو ما يجعل مظنة الاختلاط بين الصحيح والضعيف مطروحة.

3.2 مدونات الحواشي المعجمية

الحواشي المعجمية اشتهرت كغيرها من الحواشي اللغوية في ارتباطها بالنصوص الأصلية، وإن اختلفت عنها في صناعتها وشهرتها، فهي على قَلْبَتِها تقدم الشروح لمنهج الصناعة التي اعتمده الواضع الأصلي للمعجم، وتوضيح لبعض القضايا التي تحويها التعريفات كمسائل الترتيب الداخلي والمعطيات الصرفية والنحوية، أو تعقيبات على ما فات صاحب المعجم من المواد التي لم يدرجها، وما شاب ذلك كله من الخلط والتصحيف والوهم مما ينعكس في تحريف الدلالة المعجمية عما وضعت له أصالة، وقد عرفنا في التاريخ المعجمي عدة حواشٍ لها أهمية كبيرة أشهرها حاشية عبد الله ابن بَرِّي المصري (582هـ) على صحاح الجوهري والموسومة بـ التَّنْبِيْهُ وَالْإِيضَاحُ عَمَّا وَقَعَ فِي الصِّحَاحِ، أو ما اصطلح عليها ابن منظور بـ: أمالي ابن بري، ووراء شهرتها وذيوها عدة أسباب، نذكر منها :

✓ تخصص ابن بري في مثل هذا النوع من المصنفات التي تَتَّبِعُ وَتُدَقِّقُ وَتُصَوِّبُ ما أخطأ فيه كبار المعجميين واللغويين، والتنبيه على ما فاتهم، وبيان أوجه القصور عندهم، وقد صنع هذا في حاشيته على كِتَابِي: الْمُعَرَّبُ للجواليقي، ودرة الغواص للحري.

✓ تلقي كبار المعجميين لحاشيته على الصِّحَاح بالقبول والثناء عليه والالتكاء عليه في مدوناتهم، وهو ما صنعه ابن منظور الأفريقي (711هـ) في اللسان إذ جعلها أحد أهم مصادره الخمسة التي استقى منها مادته المعجمية، فلا نجد مدخلا إلا وفيه: قال ابن بري، أو حكى ابن بري، أنشد ابن بري، وحتى الزبيدي في التاج أكثر من النقل عن ابن بري وبيان بعض آراءه. ✓ أنه قد اشترك في وضعها "ثلاثة من العلماء، ابتدأه ابن القطاع وتوفي عام 515هـ، فأخذ تلميذه عبدالله ابن بري بن عبد الجبار المقدسي المصري ما كتبه وبني عليه وأكمله حتى بلغ مادة (وقش)، وتوفي عام 572هـ أو 582هـ، ورام أصحابه تكميله بعده فتعسر عليهم ذلك وتعذر، إلى أن أكمله عبد الله بن محمد الأنصاري البسطي سنة 622هـ"⁵، فقد اجتمع في فكرة الوضع والاتمام ثلاثة أئمة كبار مما يجعله أقرب للإجادة والتمام منه إلى الغلط والنقصان.

✓ أن ابن بري في حاشيته كانت لغته غير شديدة على الجوهري أو من خالفه عموما فيوضح ويعلل ويدلل في أدب وسمت كبير، فهو "مذهب اللفظ عَفُّ اللسان، لا يسارع إلى التخطئة، ولا يهتم بالغفلة أو الجهل، وله في ذلك تعبيرات من أدب القول تحتذى، من مثل: ليس الأمر

كما ذكر، أو هذا الذي ذكره غير مجمع عليه، أو صواب إنشاده كذا⁶، ولا يحمل حمّلات وتشنيعات بعض المعجميين كصنيع الأزهري على الليث بن المظفر في التهذيب.

قدم ابن بري مدونته في شكل معجم مرتب حسب التقفية، يئن فيها عنايته القوية بنقد المادة المعجمية وبيان أوجه القصور الذي حصل للجوهري عند معالجته لها، مستعينا في ذلك بالإكثار من النقل عن أئمة اللغة كالخليل والمازني وسيبويه، كما كانت له عناية خاصة بالقضايا النحوية والصرفية في تصويباته، على أن معرفته المعمقة بالشعر العربي والشواهد اللغوية برزت وساهمت كثيرا في شروحه لها وإعادة نسبة بعضها لقائلها.

4.2 مدونات النقد المعجمي

ظهرت هذه المدونات مبكرا في المشهد المعجمي، خاصة بعد ظهور كتاب العين التي انطلقت معه حملات نقدية كبيرة كلها تروم التصويب لخلل منهجي، أو بيان خطأ معالجة معجمية، أو مناقشة نسبة الكتاب لصاحبه، ولهذا شاعت عدة مدونات نقدية حول العين ككتاب الرّد على الخليل وإصلاح ما في كتاب العين من الغلط والمحال والتّصحيح لأبي طالب الكوفي (308هـ)، وغيره العديد من المدونات التي انتقدت الخليل أو انتصرت له، واشتدّ سَنامُ النقد المعجمي مع ظهور مدرسة الترتيب حسب التقفية وتعدد معجماتها، خاصة الصّحاح والقاموس فقد تعددت النُّقودُ الموجهة لهما كثيرا، ولكن أبرز مدونتين كان نقدهما خادما للمعجم الأصلي واستفاد منها وضاعُ المعاجم قديما وحديثا، هما:

✓ مدونة نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم لصلاح الدين بن أبيك الصّفدي (764هـ)، وهو المختص في مراجعاته المتعددة لمعجم الجوهري ووضع وفقا لذلك ثلاث مدونات، لهذا نجد مدوناته مرجعا أصيلا لكل من تصدى للكتابة عن الصّحاح، يقول- في سياق كلامه عنه-: "... وكنت في أثناء مروري بتصفح أوراقه، والتحلي بقلائد فوائده التي يقابلها طَرْفُ النّجْم بإطرافه، أعر على الغلطة بعد الغلطة، وأقع بالسقطة بعد السقطة، فكلم مَرَزْتُ فيه بتصحيح بعد تصحيح، ووهم لا يليق كَدَرُهُ بصفاء ذلك التصنيف، فوعدت نفسي عند الفراغ من خَلِي النّوَاهِد، أن أجمع تلك الأوهام، وأدوّنُها في مصنف ما يَرَاهُ لِبَيْتٍ إلا تَلَيَّم بِحُسْنِهِ أو هام"⁷، وقد جاءت هذه المدونة في شكل معجم اتّبع فيها الصّفدي ترتيب التقفية، وناقش فيها الوهم والتصحيح الحاصل على المستوى النحوي والصرفي وقضاياهما

كأوجه الإعراب المتعددة والميزان الصرفي والتصغير وغيرها، وعموما فإن تخصص الصَّفدي النقدي في الصحاح، وموسوعيته اللغوية اعطتنا مدونة خادمة لكل من رام الكتابة عن الجوهري.

✓ الجاسوس على القاموس لأحمد فارس الشدياق (1305هـ): وقد صنّفه الشدياق في تَبْعَاتِهِ على القاموس المحيط⁸، وتضمن كل ما تعلق بتعريفات القاموس من أوهام في القضايا الصرفية كالقلب والإبدال والمصادر والمشتقات، وبَيَّنَ جانباً من غموض العبارات وعُجْمَتِهَا في كثير من الأحيان والخلط بين صحيح المفردات وضعيفها، وجوانب التكرير الحاصل عنده مما جعله يقع أحيانا في الدور والتسلسل، وقد حاول الشدياق تقديم منهجية لسانية في وضع تعريفات القاموس من خلال بيان طرق ترتيب داخلية تم إغفالها أو وقع الخلط فيها.

ولبيان أهمية النقد المعجمي نجد خيسوس كاماتشو - Jesús CamaCho Niño من المعجمية الإسبانية يرى أنّ نقد المعاجم يدعم تطوير النظرية المعجمية، لأنه يعطينا تقييماً قائماً على معالجة البيانات التي من شأنها تحسين جودة الصناعة المعجمية مستقبلاً، بالإضافة إلى تسهيل استخدام الأدوات المعجمية الحالية، كما يُمكنُ القارئ من المعلومات المساعدة حول خصائص ووظائف المعاجم التي يستخدمونها.⁹

كما أن المعجميين الأتراك لم يغفلوا أهمية النقد المعجمي فإبراهيم كاراهانسي Ibrahim KARAHANCI أَيْعَدُ نقد المعاجم مجاًلاً جديداً نسبياً في علم المعاجم في الغرب، إلا أنه مازال لم يرق للمستوى المأمول في تركيا، وذلك لعدة أسباب، أهمها سببان اثنان، أولها غياب منهجية واضحة في نقد المعاجم، وثانيها تغليب العاطفة على العلم بدل الموضوعية.

10

5.2 اختصار المعاجم

اختصار المعاجم فن معجمي يخدم المعاجم الأصلية على مستوى معالجة المادة المعجمية الأم، فهو يحذف ما يراه زائداً من المواد والاستطرادات، ويهذب ما سيعتمده من مواد فيقتصر على الأهم مما يتناسب مع المداخل، كما أنه لا يهمل التعامل مع الشواهد فنجدّه يعيد ذكر بعضها، ويحجب البعض الآخر، ويصحح نسبة شاهد لصاحبه، أو استدلال معين من صاحب المعجم، وهو ما يفسر لنا تقليص حجم المعجم الأم.

والمعاجم المختصرة لم تضيف كثيرا أو تجدد شيئا على مستوى نظرية الجمع والوضع، وذلك أنها لم تعتمد مصادرا لمادتها المعجمية التي اختصرتها إلا مادة المعاجم الأصلية، وقليلًا ما يرجع المُختَصِرُ لمصادر أخرى كصنيع الرازي مثلا في المختار واستعانته ببعض من أصول التهذيب للأزهري، كما أنَّ أغلبها سار على نمط الترتيب الخارجي المعتمد في المعجم الأم ولم تخرج عنه، أما الترتيب الداخلي فهذا راجع لمنهج المُختَصِرِ وما رآه خادما لنصه.

وقد شاع في تاريخنا المعجمي الكثير من المختصرات المعجمية وكان اهتمام المُختَصِرِينَ منصبا على معاجم مشهورة جدا ولم يتخطاها لغيرها، وأشهر معجمين اختُصِرَا بكثرة هما العين والصحاح، أما باقي المعاجم فمختصراتها إما قليلة معدودة أو ضائعة، ومن أشهر المختصرات المطبوعة والمتداولة للعين، مختصر العين لأبي القاسم الخوافي (271هـ)¹¹ وقد نشر محققا في أطروحة دكتوراه، ومختصر العين للزبيدي (379هـ)، ومختصر العين للخطيب أبي عبد الله محمد بن الإسكافي (421هـ) وهذه المدونة وإن كانت غير ذائعة الشهرة إلا أنَّ " الخطيب الإسكافي في اختصاره للعين كان دقيقا ومنظما، فهو لم يقتصر العين اقتسارا، ولم يدخل عليه ما ينقص من قيمته، ولا ما يعمل على تشويهه، بل كان أمينًا جدا على مادته، نظر فيها نظرة عالم متفحص مدقق مُتَأَنٍّ"¹²، فقد عَمِلَ فيه على إخراج الاستطرادات الخاصة بالمواد الصرفية والنحوية التي نراها ماثوثة بكثرة في كتاب الخليل، كما أنه تَصَرَّفَ في الشواهد الشعرية فحذف الكثير منها، مع إبقاءه على الشواهد القرآنية والأمثال العربية.

أما المختصرات التي تناولت معجم الصحاح فأشهرها مختار الصحاح للرازي (666هـ) وهو أكثر المختصرات تداولًا بين جمهور الدارسين، وكذلك تهذيب الصحاح لأبي المناقب محمود الزنجاني (656هـ)، وإن لم ينل شهرة مختار الرازي إلا أن واضعه أودعه كثيرا من آليات الصناعة المعجمية التي تفوق فيها على غيره¹³.

كما أنَّ معاجم المعاني اختُصِرَت، فمدونة الإفصاح في فقه اللغة: لـ عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى، هي مختصر لمخصص ابن سيده، واستمر العمل على هذا المختصر سبعة سنوات كاملة، حاول فيه المؤلفان طرح الروايات والشواهد المتعددة ومالا حاجة إليه، والاقتصار منها على المهم¹⁴، على أنهما لم يكتفيا بالمادة المعجمية للمخصص

فحسب بل راجعا في ذلك القاموس المحيط، وفقه اللغة للثعالبي ..الخ، وأضافا منها ما يتناسب مع الأبواب التي وضعها، و التزما بترتيب الأبواب على حسب ما اعتمده ابن سيده. وختاما لم تنحصر العناية والاهتمام بالمعجمات العربية في الأنماط التي تم تحديدها سابقا بل هي متعددة، وهذا راجع أساسا لضيق العديد من نسخ هذه المدونات طوال القرون الماضية، أو أنها أنماط لم يكتب لها شهرة وذيوع كسابقاتها، ك: نَظْمِ الْمَعَاجِمِ، أو ترجمتها إلى لغات أخرى، أو إعادة ترتيبها من الصوتي والتقفية للألفبائي تسهيلا للقارئ المعاصر.

3. معجم غراس الأساس ل ابن حجر العسقلاني

معجم غِرَاسُ الأساس من وَضَعَ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (852هـ)، اختصره عن المعجم الشهير أساس البلاغة لجار الله محمود الزمخشري (538هـ)، الذي أسَّس فيه لمدرسة معجمية أساسها الترتيب الألفبائي العادي حسب أوائل الحروف، مخالفا فيه مذاهب من سبقه من المعجميين في معالجة مواده إذ رَكَّزَ على النواحي البلاغية وإبراز المجازات والكنائيات واستعمالاتها في كلام العرب حسب ما يختاره هو، ووفق ما ساقه من أدلة لغوية، و" التوقيف على مناهج التركيب والتأليف، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف، بِسَوْقِ الكلمات متناسقة لا مُرْسَلَةً بَدَدًا، ومُتَنَاطِمَةً لا طرائق قِدَدًا، مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية إلى مَرَاشِدِ حُرِّ المنطق، الدَّالَّة على ضَالَّةِ المِنْطِيقِ المُفْلِقِ"¹⁵، وكل ذلك وَفْقَ إيجاز بَيِّنٍ، وعبرة واضحة، وتركيب غير معقد، ولغة يسيرة لأهل عصره أو مَنْ تَلَاهُمُ، فيذكر حقيقة اللفظ ثم يُنْتِجُ بمجازه أو كنياته جاريا على شرطه في الوضع، مُكَثِّرًا من الشواهد إكثارا عجيبا. إن القدرة المعجمية في صناعة المختصرات لم تغب عن ابن حجر، وهو الذي نجده في مدوناته يوغل في النقل عن المعاجم، خاصة في مدونته فتح الباري التي أكثر فيها من النقل عن مشاهير المعجميين ك الخليل وابن دريد والقيالي ..الخ، بل نجده يناقش قضايا معجمية مبثوثة في الفتح كالمقابلة بين تعريفات متعددة لإثبات معنى لغوي معين، أو إثبات تصحيقات عند بعض المعجميين¹⁶، أو بيان جوانب من العلاقات الدلالية للمفردات التي يشرحها ...الخ. نُشِرَ غِرَاسُ الأساس بتحقيق اللغوي المصري توفيق محمد شاهين وكانت طبعته الأولى سنة 1990 عن مكتبة وهبة بالقاهرة، والنسخة المخطوطة التي نشرها هي بخط الشيخ محمد

بن عبد اللطيف الحنبلي وهو ناسخ معروف من متأخري النساخ في القرن الـ 12 هـ، وقد جاءت النسخة المطبوعة في قرابة الـ 600 صفحة باحتساب مقدمة المحقق الذي اشتغل على النص المعجمي للغراس بِدِقَّة في الإثبات والشرح والمقابلة والإيضاح، وغريب الكلمات-على قِلَّتِهَا- التي تكون في تعريفاته، على أنه لا يستطرد في هوامشه كثيرا كعادة المحققين، وقد أُعيد نشره من مؤسسة الكتب الثقافية ببلنات سنة 2012 بتحقيق الأستاذ عرفان مطرجي.

ومع هذا الجهد في عملية التحقيق إلا أنَّ معجم الغراس لم ينل تلك الشهرة المعجمية التي نالها غيره من المعاجم المختصرة، وهذا راجع ربما لتأخره في الظهور عن الصحاح قرابة القرنين، وانشغال الناس به وبالمعاجم الأصلية عن أي طَافٍ قد يَحِلُّ مَحَلَّهَا، وأيضا الشهرة المعجمية لوأضعه فعلى قدرِ إِمَامَتِهِ في الحديث، إلا أنه لم يُعَرَفْ بوضع المعاجم، وهو ما زَهَّدَ فيه بعضا ممن اشتغل بهذا الفن، واعتبروه من ترف التفتنفي الوضع عند القدماء.

4. منهج الصناعة في غراس الأساس

إنَّ مناقشة نظرية الصناعة في أي معجم يقتضي تحليل ركني الجمع والوضع، فما يتعلق بجمع المادة في الغراس هي في الأصل مختصرة من أساسُ البَلَاغَةِ ولم يستعن ابن حجر بأيِّ مصادر أخرى سواء كانت معاجم أو رسائل لغوية بل هو تَبَعٌ للزمخشري في هذا-إلا ما كان من الاستعانة ببعض المدونات في ضبط شيء من المجازات والاستعارات- ويلمسه أي قارئ لمداخل الغراس، وهو الأصل الذي جرى عمل الوَضَّاعِ عليه في مختصراتهم، دون إغراق في النقل من المصادر الأخرى التي تخل بمادة النص الأم، اللهم إلا ما كان من استعانة بعضهم بنقل مواد تكون مساعدة لهم في شرح مداخلهم كصنيع الرازي في مختار الصحاح ونقله في عدة مواضع من تهذيب الأزهري وغيره، كما صرَّحَ به.

وقد اتَّبَعَ ابن حجر في وضعه للمادة المعجمية ترتيبا ألفبائيا عاديا حسب أوائل الحروف ثم الحرف الذي يليه وهكذا، مقسما كل أوائل هذه الحروف إلى أبواب: باب الألف، باب الباب الموحدة.. الخ، ثم يجعل تحتها بقية المواد حسب ما اعتمده، يقول: "وطريقتي فيه أن أذكر بعد كل حرف مفرد ما يُتَلَّيْهِ، وأسلك طريق الترتيب حتى فيما يُتَلَّيْهِ وَيُرِيعُهُ، فأترجم مثلا: الباء ثم أقول با، فأورد ما أوله با ثم انتقل إلى ما بعدها مثل بب وهلم جرا، وأراعي الترتيب بما ذكرت: فأقدم باب على باس، وكذا أصنع في كل حرف طلبا للإيجاز، ورغبة في

النجاز"¹⁷، ووفقاً لهذا الترتيب فقد تحاشى ابن حجر ذكر ما وقع للزمخشري من الخلط في إيراد بعض المواد الرباعية تحت أخرى ثلاثية إلا ما وقع من إقراره على إثبات حَشْرَج في حَشْرَ، أما باقي المواد فلم يَعْرضْ لذكرها إما لمخالفته مذهب الأساس في هذا، أو لطبيعة الاختصار. أما الترتيب الداخلي للمواد فلم يكن له فيه كبير صناعة جَزْئاً منه على عادة معاجم الألفاظ التي تفننت في الترتيب الخارجي، وأغفلت ضبط الترتيب الداخلي الذي أجادت فيه معاجم المعاني، ففتننوا فيه وفق تحديد الجذور وتقليباتها وترتيب المشتقات المختلفة لهذه الجذور على ما يقتضيه المنهج اللغوي وطريقة الواضع، وبيان معاني كل منها على حدة، كما يَلَنُّو المَقْدَم في الترتيب من المعاني هل الحسية أم المجردة، وهل المعاني الحقيقية أم المجازية، والمواد المُطْلَقَة لها أولوية على المعاني المقيدة أم لا؟، وأيهما أولى العام أم الخاص؟ ... الخ.

جاءت طرائق التعريف في الغراس جميعها عبارة عن تعريف بالمرادف أو بالقول الشارح والجَمَلِ المُوضَّحة، وكانت منهجيته في التعريف بالمرادف هو الإتيان بالمفردة التي يراها متطابقة في المعنى مع الوحدة التي يُرادُ تعريفها، ثم يُعَقِّمُها بعبارات سياقية متعددة لتعزيز المعنى اللغوي المشروح، وتكون هذه الجمل منوعة بين الحقيقية والمجازية، مثل: "(دَرَأَ) دَرَأَ الكَوْكَبُ: طَلَعَ، كأنه يدرأ الظلام، ودرأتِ النارُ: أضاءت، ودَرَّؤا علينا، ودرأ السيلُ عليهم، ودَرَّؤا دَرَّةَ السيل، ودَرَّاءَ العدو"، و"(دَعَبَ) مَاءٌ دَاعِبٌ: يَسْتَنُّ في جَرِيهِ، والجمعُ: دَوَاعِبٌ، وريحٌ داعبةٌ: تذهبُ بكلِّ شيء"¹⁸، أما القول الشارح فأحياناً يُوظِّفُهُ ليحدد الخصائص التمييزية للكلمة المُعَرَّفَة فيكون كتقنية التعريف بشرح المكونات الدلالية التي تفسر المعنى وفق ما تقتضيه الحاجة المعجمية، يقول: "(عذر) وَصَلَ إِلَى عِذَارِ الرَّمْلِ: حَبْلٌ مُسْتَطِيلٌ مِنْهُ، وَغَرَسُوا عِذَارًا مِنَ النَّخْلِ: وَهُوَ السَّطَرُ الْمُتَسِقُ مِنْهُ، وَأَخَذُوا عِذَارَ الطَّرِيقِ: وَهُمَا جَانِبَاهُ، وَعِذَارَى الْوَادِي: عُذُوتَاهُ، وَأَبُو عُذْرَتَا: أَوَّلُ مَنْ افْتَضَّهَا، وَاسْتُعْمِلَ فِي الْكَلَامِ، وَعِذِيرَ فُلَانٍ: وَلَدٌ مَغْدُورًا، أَيْ مَقْطُوعَ السَّرَّةِ، وَإِعْذَارُ فُلَانٍ: طَعَامُ الْخِتَانِ"¹⁹.

على أن المَدَقِّق في تعريفاته يجد أنها شبه خالية من تقنيات أخرى كالتعريف الاشتمالي، والتعريف بالضد وغيرها، ولم تُوظَّف إلا لِمَامًا، وقد كان موفقاً في عدم الاستعانة بها لأن الدلالة فيها تكون شبه مُعَمَّاة وغامضة، وقد عرفنا سلبات استخدام هذه الطرق في المعاجم القديمة، والمعاصرون حاولوا مرارا التنبيه على عَوَارِها، بل إن الغراس طَرَحَها عامداً،

خاصة إذا علمنا أن الزمخشري قد استعان بها في عدة مواضع من الأساس وأثبتها في تعريفاته خاصة التعريف بالضد²⁰ الذي لم يُقَوِّث الاستعانة به.

وقد جاءت لغة التعريفات واضحة وجزلة خالية من الوحشي والمهجور، بل كانت ألفاظه كلها مما شاع استعماله، كما أن أغلب شروحه خالية من المفردات المُهِمَّة الصعبة، وقد جَرَّدَهَا من أي حشو زائد أو فضول أو تَقَعُّرٍ وَلَغْوٍ، فهو ينأى عن العبارات المُوهِمَّة حَمَالَةً الأوجه والدلالات، التي توحى بتناقض المعنى في ذهن القارئ، فلا نجده يُقَدِّمُ المعاني المجهولة على المَعْلُومَةِ، ولا الحقيقية على المجازية، وقد تجنب الوقوع في مَطَبَّات صناعة المعنى التي تخرج به عن كونه مختصرا تعليميا لا معجما يحاكي في مداخله صَنَعَةَ الخليل أو ابن دريد التي تَصُعُبُ على من بعدهم، لهذا قَصُرَتْ لغته عن الأساس في الإيغال شرحا واستشهادا.

استعان الغراس بالشواهد في تعريفاته استعانة كبيرة، فهو يُنَوِّعُ في توظيفه لها ويعزز بها منهجه الدلالي ليحدد المعنى المعجمي الدقيق، وأكثر أنواع الشواهد إيرادا عنده هي الشواهد الشعرية التي طغت على غيرها، ثم بدرجة أقل شواهد من القرآن الكريم، ثم يليها الحديث النبوي وأقوال العرب وأمثالها التي تكاد تكون لِمَامًا، وفلسفة الشواهد في الغراس نلمسها من خلال تعزيز المنطق الاستدلالي عند الواضع، مستغلا في ذلك ورود المفردة الواحدة في عدة شواهد وسياقات لغوية مختلفة فيثبت عن طريقها ما أرادته من معان، كما أن توظيف الشواهد في نصوصه المعجمية بالجملة ساهم مساهمة واضحة في تعزيز الجوانب التعليمية عند القارئ، من خلال تعامله مع هذه النصوص الفصيحة ومعرفة كَوَامِنِ مدلولاتها، وذلك لما تحويه من جوانب جمالية على المستوى التركيبي والدلالي لا يمكن لأي قارئ أن يَمَرَّ دون الوقوف عليها.

5. صناعة المقدمة في الغراس

شكلت مقدمات المعاجم عتبات مهمة لِقُرَائِهَا إذ كثيرا ما دَوَّنَ المعجميون فيها منهجهم في جمع المادة وبيان مصادرها، وطُرِّقَ وَضْعُهُمْ لها على الهيئة التي اِرْتَضَوْهَا، كما تُحَلَّى المقدمة أحيانا بتوطئة لغوية تساعد على فهم مسالك الصناعة التي رامها الواضع، فابن دريد مثلا في الجمهرة وضع مقدمة لغوية عالج فيها باب صفات الحروف وأجناسها، ومخارج الحروف، باب معرفة الزوائد، والأمثلة الصرفية، وهي قضايا لغوية تساعد قارئ الجمهرة في البحث عن

طُلِبَتْهُ لَأَنّ المَعْجَم قائم على تقسيم مواده وفق الأبنية والتقليبات حسب الترتيب الألفبائي العادي، وعدم الإحاطة بهذه التفاصيل الصرفية تعيق الباحث فيه.

ولم يخرج الغِرَاس عن هذا العرف المعجمي العام فقد صَدَّر ابن حجر معجمه بمقدمة مقتضبة عالج فيها مجموعة من القضايا المعجمية التي لا بد من إيرادها، دون أن يتوسع أو أن يدرج فيها ما كان لزاماً له أن يبينه فيها، ومن بين ما جاء فيها:

✓ بيان سبب اختياره معجم أساس البلاغة ليختصره، وذلك لاشتماله على الألفاظ المستعملة بين جمهور المتكلمين وخُلُوه من المهمل والحوشي، وتفنن الزمخشري في إيراد الاستعمالات الحقيقية والمجازية، بالإضافة للشواهد الكثيرة التي يوظفها، وركونه للاختصار والايجاز خروجاً على عادة القدماء في الاستطراد والإطالة، يقول ابن حجر: " فقد وقفت على كتاب أساس البلاغة للعلامة أبي القاسم جار الله، فوجدته كتاباً نفيساً، اشتمل على الكلمات الظاهرة، والأمثال السائرة، واقتصر على الألفاظ المستعملة، وتجنب المشكلة والمهمل، وصَدَّر ما وضع بإزاء الحقيقة، وتلى بما استعمل بطريق المجاز وفصل كلا منهما بأوضح امتياز فجاء كتاباً حافلاً وجامعاً كاملاً، فرأيت أن المهم منه ما تميز عن الكتب المصنفة في اللغة من تبين الحقيقة من المجاز، والتمكن من اجتناب الاسهاب وارتكاب الإيجاز"²¹.

✓ ذكر نُبْدًا من منهج الوضع لديه، منها أنه اقتصر في ذكر المجاز على ما جزم به فقط مستعينا بمراجع خارج الأساس، يقول: " وطريقي فيه: أن أذكرُ بعد كل حرف مُفْرَدٍ مَا يُثْنِيهِ، وَأُسَلِّكُ طريق الترتيب حتى فيما يُثْنِيهِ وَيُرَبِّعُهُ، فأترجم مثلاً الباء ثم أقول: با، فَأُورِدُ ما أَوَّلُهُ با، ثم انتقل إلى ما بعدها مثل: بب وهلم جرا، وأزاعي الترتيب بما ذكرت: فأقدم باب على باس وكذا أصنع في كل حرف طلباً للإيجاز ورغبة في النجاز"²².

وعلى العموم فمقدمة الغراس لم تكن قوية بالشكل الذي يحسن معه مقارنتها بغيرها، لأنها لم ترق على صعيد الصناعة لا إلى مقدمة الزمخشري، ولا إلى شبيهاتها من مقدمات المختصرات الشهيرة التي أشرنا إليها سابقاً، لقصورها الكبير عن تقديم ما يساعد قارئ المعجم من معلومات لغوية سواء نحوية وصرفية أو بلاغية خاصة وأن صلب موضوع المعجم في الأصل هو المجاز والحقيقة والكناية والتصريح، أو تقديم منهج عمله مع الشواهد، أو ذكر شيء من كتب اللغة التي رجع إليها في قضية الفصل بين الحقيقة والمجاز كما أشار في مقدمته،

أو التطرق لبعض الجهود المعجمية التي تناولت أساس البلاغة ولو باقتضاب، كل هذه معلومات كان الواجب إدراجها،

فمثلا مقدمة مختصر العين للإسكافي خصصها لمعالجة الجوانب الصرفية فقط كالأوزان الأصلية للكلام العربي، والصحيح والمعتل، ثم دراسة صوتية لمخارج الحروف وفق ما أثبتته الخليل في العين، وهذه المعلومات المُقدَّمة تتناسب مع طبيعة المعجم المُختَصَر الذي يعتمد على الترتيب الصوتي والأبنية والتقليبات، فلا تجد القارئ الذي يجهل منهج العين يبحث عنها في مدونات أخرى بل هي أمامه. وحتى الرازي في مختار الصحاح عالٍج في مقدمته جوانب صرفية منها ما تعلق بالأفعال الثلاثية وبيان أبوابها الست، كما وضع قواعد صرفية للمصادر ووفق ما سيتم ذكره في مواده.

على أن هذا الإخلال في إيراد المعلومات اللغوية في المقدمة لا يحسب على الغُرَّاس وحده بل لمسناه عند بعض المُختَصِرِينَ الذين عزفوا عن ذكر عديد المعلومات التي من شأنها إعانة القارئ، كمقدمة محمود الزنجاني في تهذيب الصحاح، ومقدمة الخوافي في مختصر العين، وهذا الصنيع منهم غير مُعَلَّلٍ البتَّة، ولا يستساغ إذا ما قارنَّاه بمقدمات المعاجم المعاصرة.

6. الحقيقة والمجاز في الغراس

لم نعرف في المعاجم العربية معجما كان مخصصا لمعالجة النواحي البلاغية في كلام العرب وبيان أوجه الاستعمال المختلفة للكلمات والأساليب، عدا أساس للزمخشري، فهو معجم قائم على " تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح، بإفراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح"²³، على أن باقي المعاجم لم تغفل هذا وإنما عَالَجَتْهُ لِمَاً وفي مواضع متفرقة وفق ما تقتضيه الحاجة وقواعد الصنعة، وهذا ما تَفَوَّقَ فيه الزمخشري على الجميع حين جعل لكل مفردة استعمالها الحقيقي والمجازي وبيان ذلك بالدليل والشاهد اللغوي.

وقد سار الغُرَّاس على هذا المنهج في شرح مفرداته إذ لم يهمل بيان الجوانب البلاغية تَبَعًا للمعجم الأم ولكن كان لابن حجر فلسفته الخاصة، إذ لم يستوعب في مختصره جميع المجازات التي ذكرها الأساس، بل اكتفى بما جُزِمَ أنه وضع على سبيل المجاز أصالة، معتمدا

في ذلك على كتب اللغة الأخرى، يقول: " فرأيت الاقتصار منه على ما جزم بأنه وضع على سبيل المجاز، مكتفياً بالكتب المصنفة في اللغة، فإنها أوعب لها من هذا الأساس، فمن لم يجد في هذا المختصر شيئاً فليجزم بأنه وضع على سبيل الحقيقة، معتمداً على هذا الإمام البليغ المطلع"²⁴، ومنهجه هذا جعل صناعته البلاغية للمجازات قد تتوافق أحياناً مع الأساس وقد لا تتوافق معه بناءً على ترجيحات لغوية اعتمدها.

وبناءً على هذه الترجيحات اللغوية فقد خالف ابن حجر الزمخشري في ما يزيد عن المائة مفردة معجمية منها ما اعتبره الزمخشري حقيقة وعدّه ابن حجر من المجاز، ومنها ما عدّه الزمخشري مجازاً وعدّه الغراس حقيقة، ومنها ما ذكره ابن حجر استقلالاً على أنه مجاز دون أن يُحدّد أصلاً عند الزمخشري، ومنها ما اشترك قدّر منه بين الحقيقة والمجاز، فما اعتبره أحدهما مجازاً وعدّه الآخر حقيقة والعكس بالعكس²⁵، ومرجع هذا الخلاف بين المعجمين له أسبابه فإمامة الزمخشري اللغوية في الفنون البلاغية وتعضُّبُه لمذهبه المعتزلي الذي يُقدِّسُ المجازات كمطِية للإغراق في التأويل، جعلته ملماً بدقائق البلاغة، أما ابن حجر فهو دون إمامة الزمخشري اللغوية، كما أن الزمخشري دون إمامة ابن حجر في الحديث، زيادة على أنّ قواعد الصناعة في المختصرات تقتضي تجريدها من الذبول التي تخرج به عن كونه معجماً مطولاً.

وقد تميزت معالجته للمجازات عن الزمخشري في أنه يُورِّدُها ضمناً في سياق تعريفاته دون التنبيه إليها أو إلى الحقيقة منها إلا لِمَا عكس صنيع الأساس إذ كان يصرح في بيانها والإمعان في شرحها، ولكن إذا تعلق الأمر ببقية الفنون البلاغية كالكناية والتشبيه والاستعارة نجد الغراس يُصرِّحُ ببيان نوعها عند معالجتها في عدة مواضع ومستشهداً لها في الوقت نفسه إذا أسعفه الدليل اللغوي، منها: "ومن الكناية: ليس بين الدراهم والأدِّم مثله، يريدون بين العراق واليمن، لأن التبائع فيهما بالدراهم والأدِّم"، و" (بدد) استبدَّ الأمر بفُلان: إذا غلبه فلم يقدر على ضبطه، وقال بعضهم: خرجتُ أبَدُّ: كُني بذلك عَنِ الْبَوْلِ"، و" (دلّم) فلان من الدَّيْلَم والدَّيْلَمَة: أي عدُو، لشهرة هذا الجيل بالشر، ويقال للثَمَلِ والقِرْدَان: الدَّيْلَم، لأنها أعداء الإبل، ويقال: لَيْلٌ أدْلَم، فهذا تشبيه وذاك استعارة"²⁶.

7. الجوانب التعليمية في الغراس

لم يخلُ الغِرَاسُ في منهجه من استهداف بعض الجوانب التعليمية، فمادته جاءت متماسكة في بنيتها اللغوية التي أريد لها أن تكون في متناول القارئ، والتي عكف على تشذيبها مما قد يجعلها طويلة الفصول فيعيق الغاية الكلية، ونستطيع أن نحدد بعضها منها في:

✓ أن بنية النص المعجمي في الغِرَاس تميزت بالانسجام وسلاسة الصياغة مستوفية لجميع عناصر الاتساق، خالية من الإبهام واللبس والغموض، فهو اعتمد في منهجه على شرح المادة مباشرة بأيسر الطرق ثم يبين الاستعمال الحقيقي والمجازي في عبارات متعددة دون أن ينبه إليهما إلا نادرا، ثم يُزْدَفُ ذلك باستشهادات تتوافق مع المناسبة المعجمية، وإن كان لا يُعْرِقُ فيها، مستعينا في عدة مواضع بالحذف، معوضا ذلك بلغته الواصفة لتكون مساعدة للقارئ في استهداف المعاني التي يروم الوصول إليها دون أي عقبات في اللغة والصياغة.

✓ أنه لم يتطرق لذكر أي شيء من المعلومات الصوتية التي من شأنها تسهيل كيفية النطق الصحيح للعديد من المفردات الصعبة، وذلك يكون عادة بتحديد موضع الفتح والضم والكسر في الكلمة، وهو صنيع دأب عليه المعجميون القدماء ومنهم الزمخشري في الأساس لما لهذه الطريقة من فائدة في ضبط الكلمات، فالغِرَاس أهمل ضبط الكلمات بهذه الطريقة وهو خلل يؤخذ عليه.

✓ المعلومات الموسوعية في الغِرَاس شبه منعدمة، إلا ما كان من ذكر لبعض الأعلام وهو قليل جدا مقارنة بمادة المعجم الأم، كإيراده لعقمة الفحل وعمر ابن الخطاب والفرزدق وجريروهاشم بن عتبة المرقال، وعلي بن عبد الله ذو الثفنت، وذكُرُهُ لهم كان في سياقات معجمية متعددة كشرحه للفحولة في الشعر، أو شرحه لمواد معجمية ك (ر.ق.ل) و (ث.ف.ن)، دون ذكر شيء من المعلومات الأخرى، وهو ما يُبَيِّنُ أَنَّ إيرادها كان لمجرد توارد المناسبة المعجمية مع المادة المشروحة لا غير، وهو صنيع يعزز الغاية التعليمية للغِرَاس من خلال عدم عرض أي معلومة قد تخرج بالمختصر عن غرضه من بيان معاني المفردات بطريقة ميسرة.

✓ أنه لم يكن للظواهر النحويّة والصرفيّة في الغِرَاس أي حضور، بل بإيرادها حتى في مقدمته، وهذا مستساغ في المتن المعجمي للمختصرات ولا يُعدُّ عيباً من عيوب الصناعة تجنباً للإطالة والتوسع التي تنافي المنهج العام، ناهيك عن أنّ الزمخشري لم يهتم كثيراً بها، وإنما كان قُصَّارى جُهدِه بيان البلاغيات في الاستعمال اللغوي حسب ما أقره الدليل.

✓ لم يُنَبِّه الغِرَاس إلى شيء من العلاقات الدلالية، فلم نذكر للترادف أو الاشتراك اللفظي أو التضاد، ولكن حسبته من عدم التفصيل فيها أنه مختصر والهدف المعجمي العام له هو بيان معاني المفردات دون الإيغال في التفصيلات اللغوية الأخرى، لذا لا يصح الحكم عليها بالتقصير في عدم بيان العلاقات الدلالية.

✓ لم نر للوسم المعجمي حضوراً بجميع أنواعه في نصوص الغِرَاس إلا ما كان من بعض الرموز الخطية الخارجة عن ألفاظ المعجم ك (،/،[.])، أما باقي الوسوم التي هي من جنس المفردات المعجمية فلم يستعن بها ابن حجر سواء كانت مُحدِّدات أو مختصرات تكون تقييدات دلالية أو نحوية في الشروح، فقارئ المعجم يحتاج إلى هذه المحددات في بيان جوانب الأفراد والجمع والتذكير والتأنيث، وجوانب الزيادة والتجريد، والصحة والاعتلال، فعدم بيان هذه المحددات يجعل القارئ لا يفرق بين العديد من حقائق المفردات ودلالاتها.

✓ المُصْطَلَحُ اللغوي في الغِرَاس لم يكن له أدنى معالجة في المواد المعجمية، لخروجها عن المنحى العام للمعجم من الإختصار والإيجاز، بل حتى بعض المصطلحات الصوتية التي جاءت في الأساس لم يتعرض لها ابن حجر كاللثغ والنطع.. الخ.

8. خاتمة

حاولت هذه الدراسة مناقشة جهود المدونات الخادمة للمعاجم من خلال عرض بعض جهود اللغويين ومناهجهم، وفي خاتمة هذه الورقة نقدم جملة من النتائج التي توصلنا إليها:

✓ تعددت مناهج المدونات الخادمة للمعاجم من تسجيل الاستدراكات والفوائت، إلى الشروح، أو الردود في كتب النقد والحواشي، وكلها تروم تقويم النص المعجمي.

✓ قدمت هذه المدونات جهداً معجمياً موازياً للمعاجم الأصلية بل فاقت المعجم الأصلي أحياناً في مواده وتخريجاته، كما هو الحال في تاج العروس.

✓ شَكَّلَ منهج الصناعة في المعاجم المختصرة النقطة الأبرز في هذه المدونات من خلال توطئة المواد وجعلها مواد تعليمية قابلة للقراءة، وسهولة تحديد المعاني المختلفة للمفردات.

✓ استطاع ابن حجر أن يقدم في الغراس معجما مختصرا، مستوف لقواعد الصناعة المعجمية في جمعها ووضعها، إذ لم يخرج في منهجه الكلي عما حدده الزمخشري.

✓ استثمر ابن حجر صنعته اللغوية ومعرفته الواسعة بالمدونات البلاغية في تحديد الكثير من الاستعمالات المجازية والحقيقية ومخالفة الزمخشري في أكثر من مائة مفردة.

✓ تميز الغِرَاسُ عن المختصرات السابقة بحسن تهذيب والإيجاز لدرجة أنه أسقط الكثير من شروح بعض المواد التي تميزت ببسط الشرح مركزا على الدلالة الأساسية فقط.

✓ لم يصرح ابن حجر برجوعه لبعض المختصرات التي سبقته، ولكن منهجه في الاختصار يشي بأنه اطلع على بعضها للتشابه الحاصل بين مناهجهم.

✓ اشتمل الغِرَاسُ على العديد من الملامح التعليمية، مثل منهجه في التعريفات المقتضبة، والاستشهادات التي لم يُغَرِّقْ فيها، وطرحه للمعلومات الموسوعية، كما أنَّ مقدمة الغِرَاسِ جاءت مختصرة لتتوافق مع الغايات التعليمية التي رامها الواضع من معجمه.

الهوامش والإحالات

¹ الجبوري عبد الله، 2003، ابن التياني والموعب، مجلة مجمع اللغة، مجمع اللغة العربية، دمشق-سوريا، مج 78- ع 70.

² دوزي رينهارت، 1980، تكملة المعاجم العربية، ت محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ج 1 ص 09 بتصرف.

³ ينظر: جبل محمد حسن، 1986، الاستدراك على المعاجم العربية، دار الفكر العربي، مصر، ص 06-07.

⁴ ينظر: الزبيدي المرتضى، 1965، تاج العروس من جواهر القاموس، تج عبد الستار فراج وآخرون، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ج 1 ص 4-5.

⁵ نصار حسين، 1988، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة- مصر، ج 2 ص 409.

⁶ ابن بري أبو عبد الله، 1980، التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح، تج مصطفى حجازي وعلي ناصف، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مجمع اللغة العربية، القاهرة- مصر، ج 1 ص 53 بتصرف.

⁷الصفدي صلاح الدين، 2006، نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم، تح محمد عايش، دار البشائر الإسلامية، بيروت-لبنان، ص42.

⁸ينظر: الشدياق أحمد فارس ، 1882، الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب، اسطنبول- تركيا، ص3.

⁹CamaCho Niño Jesús, 2022, La críticalexicográfica. Necesidad y utilidad en la enseñanza y aprendizaje de lenguasextranjeras, revista Porta Linguarum universidad de granada, no 37 p212-213.

¹⁰Karahanci İbrahim, 2016, Türkçe SözlükEleştirileriÜzerine, Proceedings of the International Symposium of Lexicography, İstanbul BüyükşehirBelediyesiKültürDaireBaşkanlığıKültürelEtkinliklerMüdürlüğü, İstanbul-Türkiye, v4 p49.

¹¹ نشر هذا المختصر محققا في رسالة دكتوراه إعداد سوسن الهندي، 2000، اشراف عليان الحازمي، بجامعة أم القرى بالسعودية.

¹² ابن الاسكافي أبو عبد الله، 2016، مختصر كتاب العين، تح هادي حسن حمودي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ج1 ص50.

¹³ينظر: الزنجاني أبو المناقب محمود، 1952، تهذيب الصحاح، تح عبد السلام هارون وأحمد عبد الغفور العطار، دار المعارف، مصر، ج1 ص3-4.

¹⁴ينظر: الصعيدي عبد الفتاح وموسى حسين، 1929، الإفصاح في فقه اللغة، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، المقدمة ص ت.

¹⁵ الزمخشري جار الله، 1998، أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج1 ص16.

¹⁶ ينظر: العسقلاني ابن حجر، 1970، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ج1 ص343- ج7 ص111- ج10 ص297...الخ

¹⁷ العسقلاني ابن حجر، 1990، غراس الأساس، تح توفيق محمد شاهين، مكتبة وهبة، مصر، ص06.

¹⁸المرجع نفسه، ص138، 141.

¹⁹المرجع نفسه، ص318.

²⁰ينظر الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، ج1 ص132 مادة (ج.ر.ر)، وج1 ص210 مادة (ح.ل.ل)، وج1 ص480 (س.ه.ل). وغيرها الكثير.

²¹المرجع نفسه، ص05.

²²المرجع نفسه، ص06.

²³المرجع نفسه، ج1 ص16.

²⁴العسقلاني ابن حجر، غراس الأساس، ص06.

²⁵المرجع نفسه، ص513 بتصرف.

²⁶المرجع نفسه، ص11، 20، 145.

المؤلفات

- ¹⁻ ابن الاسكافي أبو عبد الله، 2016، مختصر كتاب العين، تح هادي حسن حمودي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ج. 1.
- ²⁻ ابن بري أبو عبد الله، 1980، التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح، تح مصطفى حجازي وعلي ناصف، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مجمع اللغة العربية، القاهرة- مصر، ج. 1.
- ³⁻ جبل محمد حسن، 1986، الاستدراك على المعاجم العربية، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر.
- ⁴⁻ دوزي رينهارت، 1980، تكملة المعاجم العربية، ت محمد سليم النعيمي، دار الرشيد ، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ج. 1 ..
- ⁵⁻ الزبيدي المرتضى، 1965، تاج العروس من جواهر القاموس، تح عبد الستار فراج وآخرون، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ج. 1
- ⁶⁻ الزمخشري جار الله، 1998، أساس البلاغة، تح محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ج. 1.
- ⁷⁻ الزنجاني أبو المناقب محمود، 1952، تهذيب الصحاح، تح عبد السلام هارون وأحمد عبد الغفور العطار، دار المعارف، مصر، ج. 1.
- ⁸⁻ الشدياق أحمد فارس ، 1882، الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب، اسطنبول- تركيا.
- ⁹⁻ الصعيدي عبد الفتاح وموسى حسين، 1929، الإفصاح في فقه اللغة، دار الكتب المصرية، مصر.
- ¹⁰⁻ الصفدي صلاح الدين، 2006، نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم، تح محمد عايش، دار البشائر الإسلامية، لبنان.
- ¹¹⁻ العسقلاني ابن حجر، 1970، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ج. 1 ، ج. 1 ، ج. 7 ، ج. 10.
- ¹²⁻ العسقلاني ابن حجر، 1990، غراس الأساس، تح توفيق محمد شاهين، مكتبة وهبة، مصر.
- ¹³⁻ نصار حسين، 1988، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة- مصر، ج. 2 .

الأطروحات

- ¹⁴⁻ سوسن الهندي، 2000، مختصر العين لأبي القاسم الخوافي، رسالة دكتوراه، اشراف عليان الحازمي، بجامعة أم القرى- السعودية.

المقالات

- ¹⁵⁻ الجبوري عبد الله، 2003، ابن التياني والموعب، مجلة المجمع، مجمع اللغة العربية، سوريا، مج 78- ع. 1.

المراجع الأجنبية

- ¹⁶⁻ CamaCho Niño Jesús , 2022, La críticalexicográfica. Necesidad y utilidad en la enseñanza y aprendizaje de lenguasextranjeras , revista Porta Linguarum, universidad de granada , no 37.

-
- ¹⁷⁻ Karahanci İbrahim, 2016, Türkçe Sözlük Eleştirileri Üzerine Proceedings of the International Symposium of Lexicography, İstanbul Büyükşehir Belediyesi Kültür Daire Başkanlığı Kültürel Etkinlikler Müdürlüğü, İstanbul- Türkiye, v4.